الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

الأوضاع الثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني 1830-1671

إعداد الطلبة
زكية مرزوق
سعيدة ناصري

إشراف الأستاذ
كمال بيرم

أمام لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الجامعة	الصفة
أ.د محمود بوكبيسة	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
د. كمال بيرم	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
أ.د محمد يعيش	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 1444-1445 هـ 2023-2024 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله الّذي بعزّته وجلاله تتمّ الصالحات. يا ربّي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

نتقدم بجزيل شكرنا وعظيم امتناننا إلى أستاذنا الفاضل الدكتور **بيرم كمال** على قبوله الإشراف على هذا العمل، وعلى كل المجهودات التي بذلها معي وعلى النصائح والإرشادات التي قدمها لنا طيلة فترة إنجاز هذا العمل.

كما نتقدم بالشكر والامتنان والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة هذه المذكرة.

وفي الأخير نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

إهداء

إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها، ووقَّرها في كتابه العزيز ..

(أمي الحبيبة).

إلى خالد الذكر، الذي وفاته المنيَّة، وكان خير مثال لرب الأسرة والذي لم يتهاون يوم في توفير سبيل الخير والسعادة لي ..

(أبي المُوقَّر).

إلى من أعتمد عليه في كل كبيرة وصغيرة .. (زوجي العزيز)

إلى مصدر سعادتي وقوتي .. (أبنائي حفظهم الله)

إلى إخوتي ومعارفي الذين أُجلُّهم وأحترمهم ..

أهدي لكم بحثي المتواضع.

ناصري سعيدة

إهداء

إلى التي بحنانها ارتويت، وبدفئها احتميت، ولحقها ما وفيت .. (أمي الغالية)

إلى من شق لي بحر العلم والتعلم، والذي لم يبخل علي طيلة حياته .. (أبي العزيز)

إلى زوجي الغالي وأبنائي الأعزاء حفظهم الله ..

إلى إخوتي وأصدقائي، وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون ..

أهدي لكم بحثي المتواضع.

مرزوق زكية

قائمة المختصرات:

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تق: تقديم.

ج: جزء.

د.ب.ن: دون بلد نشر.

د.ت.ن: دون تاريخ نشر.

د.د.ن، دون دار نشر.

د.ط: دون طبعة.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ص: صفحة.

ط.خ: طبعة خاصة.

ط: طبعة.

ع.خ: عدد خاص.

ع: عدد.

م: ميلادي.

مج: مجلد.

هـ: هجري.

مقدمة

مقدمة:

تعد مدينة قسنطينة من بين أقدم مدن المغرب الأوسط التي تعاقبت علها جل الحضارات السابقة في مراحلها التاريخية المختلفة، والتي ما زالت قائمة حتى اليوم، وقد حظيت هذه المدينة بالسيادة والريادة على الشرق الجزائري طيلة فترة الحكم العثماني للمنطقة.

فهي من المدن الجزائرية ذات الأهمية البارزة بفضل تاريخها الغني وتراثها العميق، مما جعلها محط اهتمام الباحثين الذين سعوا لإبراز اللحظات التاريخية البارزة التي مرت بها المدينة خلال الفترة العثمانية، فخلال هذه الفترة الزمنية شهدت المدينة تطورًا هامًا من الناحية العلمية والثقافية، حتى أصبحت مركزًا للتألق الفكري والحضاري.

فقد كانت مدينة للعلم والعلماء عبر تاريخها الطويل لكونها مدينة ذات تراث علمي غني، فكانت تضم عددًا كبيرا من المساجد والمدارس التي كانت تعلم القرآن والسنة والعلوم الأخرى.

أهمية الموضوع:

إن دراسة موضوع الأوضاع الثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني من المواضيع التي تحتاج إلى البحث والدراسة، وذلك لفهم الهوية الثقافية والتاريخ الثقافي للمدينة وتسليط الضوء على التأثيرات الثقافية لتلك الفترة الزمنية من تاريخ المدينة (1671-1830).

أسباب اختيار الموضوع:

-الميولات الشخصية لهذا الموضوع التاريخي والرغبة في الإطلاع على الحياة الثقافية للمجتمع القسنطيني.

– الأهمية البالغة للموضوع حيث أن الجانب الثقافي غفلت عنه الكثير من الدراسات التي مالت إلى الجانب السياسي.

– تسليط الضوء على الأهمية التاريخية للمؤسسات العلمية وتأثيرها العميق على الواقع الثقافي.

الإشكالية:

على ضوء ما سبق يمكننا طرح الإشكالية التالية:

كيف كانت الأوضاع الثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني؟

وللإجابة على الإشكالية وضعنا الخطة التالية:

خطة البحث:

لدراسة هذا الموضوع والإجابة على الإشكالية المطروحة قسمنا بحثنا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

تناولنا في الفصل التمهيدي المدخل الجغرافي والتاريخي لمدينة قسنطينة فتحدثنا في المدخل الجغرافي عن موقع المدينة وتضاريسها، وعن جغرافيا الأودية والأنهار الموجودة بها، أما في المدخل التاريخي فتحدثنا عن مدينة قسنطينة قبل الوجود العثماني، وعن الفترة العثمانية وكيف كان الدخول العثماني للمدينة.

في الفصل الأول تحدثنا عن المؤسسات الثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العثماني بداية بالمساجد والزوايا، وذلك بتعريفها وأنواعها ومؤسسيها، مرورا بالكتاتيب والمكتبات، بالإضافة إلى الأوقاف وذلك بتعريفها أيضا وذكر أنواعها ودورها في الحياة الثقافية.

أما الفصل الثاني فتناولنا فيه النشاط التعليمي في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني، بداية من المدارس التعليمية عن طريق ذكر أنواعها وكيفية الدراسة فيها، ثم تحدثنا عن العلماء ومكانتهم في تلك الفترة، وتطرقنا إلى التصوف والحياة الثقافية في المدينة.

وفي الخاتمة وضعنا بعض النتائج التي توصلنا إليها، والتي حاولنا من خلالها الإجابة عن الإشكالية المطروحة.

منهج الدراسة:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي، لما تتطلبه مثل هذه الدراسات التاريخية وعناصرها.

صعوبات البحث:

أثناء دراستنا لموضوعنا واجهتنا عدة صعوبات نذكر منها: قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع مما يؤدي إلى صعوبة الحصول على المصادر والمراجع المتخصصة التي عالجته.

المصادر المعتمدة:

اعتمدنا في دراسة بحثنا على مجموعة من المصادر نذكر منها: "أم الحواضر في الماضي والحاضر" لابن شغيب والذي أفادنا في معرفة مساجد وزوايا مدينة قسنطينة، بالإضافة إلى "فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها" لابن العنتري والذي استفدت منه في الموقع الإقليمي لقسنطينة، كما اعتمدنا على "منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية" لابن الفكون والذي أفادنا في دراسة بعض علماء المدينة، أما المصادر الأجنبية التي اعتمدنا عليها فهي فايست أوجين، تاريخ

بايات قسنطينة في العهد التركي 1873-1792م، و ايرنيست ميرسي تاريخ مدينة قسنطينة، بالإضافة بعض المراجع مثل تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.

الفصل التمهيدي:

المدخل الجغرافي والتاريخي لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني

قسنطينة، هي تلك الحاضرة الثقافية التي شهدتها الجزائر خلال فترات زمنية مختلفة، تميزت بعدة خصائص مكنتها من احتلال مكانة في التاريخ الجزائري وذلك لتمتعها بموقع جغرافي مميز.

أ. المدخل الجغرافي

1. الموقع والتضاريس

يعتبر الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة من أهم المواقع الجغرافية، إذ أنها تتوسط الشرق الجزائري مما أكسبها إقليما مميزا، تقع بالشمال الشرقي للجزائر على خطي طول 35 و7 شرقا، ودائرتي عرض 13 و36 شمالا، وترتفع بـ621 إلى 740 مترا عن سطح البحر[1].

تتوسط المدينة إقليم الشرق الجزائري، وهي واقعة خلف الأطلس التلي جنوب غرب عنابة، فهي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف في حوض ريغ جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء ونوغة وبرج حمزة وسفوح جرجرة غربا[2].

2. جغرافيا الأودية والأنهار

موضع مدينة قسنطينة على شكل مدرج، يرتفع في الشمال الغربي عند سفوح المنصورة والذي يفصله عنها وادي الرمال، هذا الأخيرة يلتقي بوادي بومرزوق من الجهة الشرقية في المكان المعروف بالأقواس، أما في الشمال الشرقي للمدينة ينتصب جبل المنصورة في اتجاه جنوبي شرقي إلى شمالي غربي، وفي أعلى هذه الهضبة، نجد بها

---

[1]– لعروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافيا العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984، ص14.

[2]– بن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائها على أوطانها، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص17.

تنوءان إحداهما شرقي، يشرف على المدينة يعرف ب سيدي مبروك، والآخر الواقع في الشمال الغربي لهضبة المنصورة فيحمل اسم ضريح سيدي مسيد[1].

وتقع المدينة على كتلة كلسية ذات شكل مثلث غير منتظم الأضلاع قاعدته الشمال ورأسه في الجنوب، يطوقها وادي الرمال، وتتربع الكتلة الصخرية على العدوة الغربية للوادي، ويصفها البكري في القرن الخامس بقوله: "...مدينة أولية ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها وهي على ثلاثة أنهار عظام، تجري فيها السفن ..... وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر، ويصف الإدريسي موقعها فيقول:"...مدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بع الاستدارة يحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد مستديرا[2].

ويحيط بها أخدود الوادي الذي زاد في أهميتها كقلعة حصينة شامخة، تحيط بها العوائق والمنحدرات من كل الاتجاهات، وقد اختيرت كمدينة متميزة بسبب موقعها وحصانتها، وسهولة الدفاع عنها ولوفرة المياه الصالحة بها، وأراضيها الخصبة وهذه العناصر تعتبر المصادر الأساسية في اختيار مواقع المدن وإنشائها[3].

---

[1]– شلوصر فنزلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832–1837، تر وتق أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص76.

[2]– أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص142.

[3]– لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص14.

ب. المدخل التاريخي

1. قسنطينة قبل الوجود العثماني

- قسنطينة قديما:

تعد مدينة قسنطينة من بين أقدم مدن المغرب الأوسط التي تعاقب عليها جل الحضارات السابقة في مراحلها التاريخية المختلفة، مما جعلها تكتسي أهمية ومكانة حضارية كبيرة جعلت الباحثين والمؤرخين يولون بها اهتماما كبيرا.

عرفت المدينة الاستقرار منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وقد أكدت الأبحاث والمكتشفات الأثرية والجيولوجية على استقرار الإنسان بها لأن الوادي الذي يحيط بالصخرة يرجع في تكوينه إلى العصر الجيولوجي الرابع[1].

وقد كانت قسنطينة في العهد النوميدي تدعى "كيرط" أو "سيرتا"، وتعني باللغة القديمة "المدينة"، اتخذها ماسينسا عاصمة لدولته وتميزت في عهده بمكانة اقتصادية مرموقة جعلتها محطة تجارية واسعة، تصدر القمح والصوف والجلود وكذا الزيت ....إلخ, لكن هذا الرخاء لم يدم طويلا لطمع الرومان بها فسيطروا عليها عام 112[2].

ظلت المدينة تحت الحكم الروماني تتنعم بمكانة هامة، إلا أن الأهالي قاوموا الوجود الروماني حتى سنة 427، حيث أجبروا حاكمها بونيفاص على المطالبة بالاستقلال عن روما، من أجل هذا الصراع استنجد الأهالي بالوندال، الذين دخلوا المدينة واستقروا مدة من الزمن 432م-534م، كما دل على ذلك المجموعة الكبرى من النقود

---

[1]- غانم محمد الصغير، قسنطينة عبر تاريخها القديم مجلة العلوم الإنسانية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ع12، 1999، ص140.

[2]- لمبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص264.

الوندالية التي اكتشفت في حي الحامة عام 1949م، وهي الآن معروضة بمتحف سيرتا، ثم جاء البيزنطيون بعد الوندال 534م-634م[1].

- قسنطينة في الفترة الإسلامية:

وصل الإسلام إلى شمال إفريقيا على يد "عقبة بن نافع" مؤسس مدينة القيروان وجامعها، جعلها عاصمة إسلامية وقاعدة عسكرية في آن واحد، لينطلق منها إلى بقية مناطق المغرب الإسلامي"[2].

ويرجع تاريخ دخول الإسلام إلى مدينة قسنطينة على الأرجح في فترة "أبي المهاجر دينار" 55-62هـ/674-681م، الذي سار فاتحا إلى بلاد المغرب الأوسط، حيث يخيم ملك البربر "كسيلة "بجبال الأوراس، فاتخذ مسلكه هنالك فتمكن من الانتصار على أعمال قسنطينة سنة 59هـ/678[3]، وحل بمنطقة ميلة وابتنى بها دار الإمارة ،حيث كانت ترسل منها بعثاته ودعاته فاتصلوا بسكان قسنطينة وأبلغوهم بالدعوة إلى الإسلام، فيكون بذلك بداية ظهور الإسلام بها[4]، إلا أن الشيء المحقق الذي يشهد لها به المؤرخين هو أنها دانت بالإسلام ولم ترد عنه أبدا ومنذ ذلك الوقت أصبحت تابعة إداريا وسياسيا للقيروان عاصمة المغرب الإسلامي آنذاك[5].

واستمر ذلك إلى غاية قيام الدولة الأغلبية 148هـ/800م، ولقد كانت هذه الفترة تتميز باقتصاد كبير إلى جانب النهضة العلمية والثقافية والمعمارية ودام حكم الأغالبة إلى

---

[1]- أحمد بن مبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011، ص78.

[2]- لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص40.

[3]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص127.

[4]- علي بن شعيب محمد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر أو تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص230-231.

[5]- سالم عبد العزيز، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص414.

سنة 296هـ/912م[1]، ثم قامت بعد ذلك الدولة الفاطمية سنة 296هـ إلى سنة 362هـ، ثم دخلت تحت بني زيري سنة 362هـ، ودامت إلى سنة 542هـ، وهاجمها الهلاليون حوالي سنة 462هـ، وتحكموا فيها ثم خرجت عنهم ودخلت حكم الحماديين 404هـ إلى سنة 547هـ، في عهد الناصر الحمادي 454-481هـ، ووقعت بها ثورة "بلياز" عم الأمير الناصري ودامت تحت حكم الحماديين إلى آخر عهدهم، ولم سقطت بجاية في يد الموحدين دخلت قسنطينة تحت حكمهم في سنه 547هـ/1153-1154م[2].

ثم دخلت تحت حكم الحفصيين 626هـ/1228-1229م وكانت قسنطينة في عهد الحفصيين نتمتع بمكانة ممتازة وكثيرا ما كانت تخرج عن حكمهم تحت والي يستقل بها، أو يكون تابعا لأمير، كما كان ذلك على عهد أبي البقاء سلطان بجاية سنة 708هـ/1309م، ووقعت بها عدة ثورات سنتي 1309-1312م، ومن سنة 710هـ/1312م إلى إلى سنة 769هـ/1319م، كنا كانت قسنطينة تحت الوزير ابن الغمر في السلطة على تونس[3].

2. قسنطينة خلال الفترة العثمانية

تعد قسنطينة المدينة الثانية خلال العهد العثماني بعد العاصمة، فهي عاصمة بايلك الشرق، حيث امتدت على رقعة شاسعة، ويعتبر الحكم العثماني بها ملازما لازدهار الحياة واكتسابها مكانة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

اختلف المؤرخون في تاريخ تحديد دخول الأتراك المدينة قسنطينة، وهذا لعدم وجود أدلة ووثائق في ذلك، وللخروج بتاريخ محدد قام عدد منهم أمثال ميرسي mercier حددها

[1]- سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، قسم اللغة العربية، جامعة قسنطينة، 2005، ص4.

[2]- أحمد بن مبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص79-80.

[3]- المصدر نفسه، ص80.

في 1519-1522م[1]، و لومبري lambri 1526م، اما فايسات vayssette فحدده 1520م، وذلك اعتمادا على وثيقة تعود إلى سنة 1520م تقول أن قسنطينة تمردت على حكم خير الدرين بربروس[2].

وعقب دخول العثمانيين إلى المدينة ظهر تياران متناقضان، الأول رفض الوجود العثماني بالمدينة، وكان على رأسه أسرة عبد المؤمن من شيوخ الإسلام في العهد الحفصي ساندها في ذلك عرب أولاد بن صاولة، أما التيار الثاني فقد ساند دخولهم إلى المدينة وتزعمتهم أسرة الفكون، وقد كان اتصال العثمانيين بهذه العائلة للوقوف معهم مبكرا ويرجع إلى سنة 928هـ/1522م[3].

ولكن نجد أن أبا القاسم سعد الله ينفي هذا مدعما ذلك من خلال أن ابن الفكون في كتاباته لم يشر إلى ذلك، ويفسر انتقال إمارة ركب الحج من عائلة عبد المؤمن إلى عائلة الفكون على أنه ليس صراعا، بل ذلك يرجع إلى ضعف الأولى خلال العهد العثماني بينما ارتفعت حظوظ العائلة الثانية"[4].

وبعد استقرار العثمانيين بالجزائر قرر حسن باشا بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى ثلاث أقاليم، كل منها يحمل اسم بايلك وهي على النحو التالي: بايلك الغرب وعاصمته مازونة ثم معسكر ثم وهران من بعد تحريريها من الإسبان سنة 1792م، وبايلك التيطري وعاصمته المدية، وبايلك الشرق أو بايلك قسنطينة عاصمته قسنطينة بداية من سنة

---

[1] – Mercier Ernest, histoire de constantine, p 188-189.

[2]– طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص49.

[3]– حروش مفيدة، أطلس المعالم الإسلامية بمدينة قسنطينة، دراسة تاريخية أثرية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010-2011، ص22-23.

[4]– أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص23.

975هـ/1567م هذا إلى جانب بايلك الجزائر العاصمة في الوسط الذي يحمل اسم دار السلطان، ويحكم كل بايلك نائب عن الباشا في الجزائر يحمل لقب الباي وبمساعدة مجلس ديوان صغير[1].

بعد استقرار العثمانيين بالجزائر وتقسيمها إلى بايليكات منها بايلك الشرق الذي اختيرت مدينة قسنطينة عاصمة له بداية من سنة 975هـ/1567م لما تملكه من مؤهلات اكتسبتها من موقعها الاستراتيجي وبعدها التاريخي والحضاري، وقد توالى على حكمها عدة بايات، أولهم"رمضان تشولاق باي" الذي حكم بين سنتي 975هـ/1567م-982هـ/1574م[2].

تعتبر ولاية صالح باي أطول مدة حكم في قسنطينة حيث امتدت لمدة 20 سنة تميز فيها عن باقي البايات بالقوة والشجاعة، فعرفت قسنطينة مكانة خلال فترة حكمه ازدهارا وتطورا كبيرا في مختلف الميادين، حيث نظم الشوارع وشيد البنايات وانتشر العمران داخل المدينة وخارجها، فشيد مسجد ومدرسة الكتاني، وأقام بالقرب منها بيوته الخاصة التي امتازت بالضخامة السعة[3].

[1]- بن العنتري محمد الصالح، المصدر السابق، ص30.

[2]- المصدر نفسه، ص31.

[3]- لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص79.

الفصل الأول:

المؤسسات الثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني

تعد المرافق الدينية والتعليمية رمزا من رموز الثقافة العربية الإسلامية، والتي تلعب دورا كبيرا في تنشيط الحركة الثقافية والتعليمية، على هذا الأساس عرفت مدينة قسنطينة العديد من المؤسسات العلمية نذكر منها المساجد والزوايا والكتاتيب والمكتبات.

أ. المساجد والكتاتيب

1. المساجد

تعد المساجد من المؤسسات الدينية والتعليمية الهامة ونواتها الأولى فهي من المظاهر والمنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلو أي مدينة من المدن الإسلامية منها، حيث تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية[1].

فكانت المساجد أماكن لأداء الصلاة وتحفيظ القرآن والتعليم، ومعالجة مشاكل الناس[2]، فالمساجد لم تكن مقتصرة على إقامة الصلاة فقط وإنما كانت تقوم مقام المدارس، وبالتالي فكان لهذه المؤسسة الدينية دور كبير في حياة المجتمع[3]، هذا ما ذكره ابن ميمون في كتابه التحفة المرضية، أن المساجد "قد كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحطة لفنون العلوم التي كانت تدرس لذلك العهد لاسيما في المدن والقرى حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث ما أمكنها من العلوم[4].

وبما أن المساجد كان من مهامها فض النزاعات بين الأهالي عدت بمثابة الرابطة بينهم في الريف والمدينة، فقد كثرت العناية بها فلا تكاد تجد قرية أو نهجا في المدينة من

---

[1]– أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان، أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا، الجزائر، ع7، مج4، 2013، ص64.

[2]– بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار المغرب الإسلامي، 1995، ج1، ص13.

[3]– عبدلي لحضر، تاريخ مملكة تلمسان في عهد زيان 1554م، ط1، دار الأوطان، تلمسان، 2011، ص499.

[4]– ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق، تح، محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص59.

دون مسجد، ومن بين هذه المساجد ما كان يي "جامع الخطبة" لأنها كانت تؤدى فيها صلاة الجمعة أو العيدين دون غيرها من المساجد التي غالبا ما تنسب إلى مؤسسيها من سياسيين، عسكريين أو تجار وهذا خلافا للزوايا التي كانت تنسب لأحد الأولياء الصالحين.

ففي قسنطينة حسب الورثلاني الذي زارها في القرن الثامن عشر ميلادي يوجد بها خمسة جوامع خطبة، فقد عرف إقليم قسنطينة العديد من المساجد خاصة في عهد صالح باي، إذ عمل هذا الأخير على الاعتناء بالمساجد، وترميمها وتشييدها[1]، حيث بلغ عددها خمسة مساجد كبرى وسبعين مسجدا صغيرا انتشرت عبر أحياء المدينة[2]، ومن بين هذه المساجد نذكر:

- الجامع الكبير:

يقع بين الساحة المسماة بالبطحاء وسوق الجلود[3]، يعد تأسيسه محل اختلاف بين بعض المختصين فحسب ميرسي يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة 633هـ/1236م في حين يرى شاربونو بأن الجامع يعتبر أقدم جامع بالمدينة يعود بناءه إلى القرن الثالث عشر خلال العهد الحفصي[4]، بينما يقال في الكتب التاريخية وعند بعض المهتمين من العلماء والمؤرخين بالمعالم الدينية أهمهم الدكتور رشيد بورويبة الذي يرجع تاريخ تشييده على يد محمد بوعلي البغدادي عام 530هـ/1136م إلى الدولة الحمادية و هذا وفق العبارة التي

[1]– Vayssettes Eugène, Histoire de Constantine sous la domination turque, p 155.

[2]– لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص81.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص81.

[4]– قشي فاطمة الزهراء، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع9، 2013، ص13.

وجدت منحوتة باللغة العربية عثر عليها موجودة على تجويف المحراب وجاء فيها[1]هذا من عمل محمد بوعلي البغدادي" بالإضافة إلى ذكر سنة ثلاثين و خمسمائة فاعتمد على هذه الكتابة لتأريخ الجامع و قد جاء نص الكتابة " بسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا وعلى آله تسليما هذا عمل محمد بوعلي البغدادي ستة ثلاثين وخمسمائة[2].

- جامع سوق الغزل:

بني عام 1721م بأمر من الباي حسن، وقد صممه وبناه عباس بن علي، وهذا ما دنت عليه نقوش أثرية، وجدت في إحدى بيوت قصر الباي، المجاور للمسجد والمقصود هنا بالغزل هو " الصوف المهيأة لنسيج"[3].

يحتوي مسجد سوق الغزل على العديد من الزخارف التي وجدت على جدرانه، وتميز هذا المسجد بالصناعة والنقش الدقيق، وهو من المساجد التي تميزت بالطابع الجمالي والفني[4].

وقد اعتبر هذا المسجد حاضرة علمية، باعتباره جمع مجموعة من العلماء الذين تولوا عملية التدريس فيه[5].

---

[1]– بوروينة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر إبراهيم شيوح، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص71–72.

[2]– محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص232.

[3]– المصدر نفسه، ص240–243.

[4]– المصدر نفسه، ص243.

[5]– بن بلة خيرة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص76–78.

- الجامع الأخضر:

سمي بجامع سيدي لخضر نسبة إلى الولي الصالح سيدي لخضر الذي كان قيما على الجامع طوال فترة حياته، ودفن خلف الجامع الذي سمي باسمه، بني سنة 1156هـ/1743م أسسه حسن أبو حنك بن كلياني حسين[1].

- جامع سيدي الكتاني:

شيد جامع سيدي الكتاني، في عهد صالح باي سنة 1776م، ويقع في نهاية شارع كرمان قرب ساحة سوق العصر، ويعتبر هذا المسجد من بين أهم المعالم الموجودة في مدينة قسنطينة، ويضم أعمدة رخامية جميلة وهو يتكون من عدة أجزاء مختلفة الألوان وقد سمي نسبة إلى الولي الشيخ سيدي الكتاني الذي بني المسجد فوق ضريحه، وقد جلبت مواد بنائه من إيطاليا[2]، ومن أبرز لواحقه الكتاتيب القرآنية وكذلك الزوايا التي كانت تستخدم للطلبة والغرباء، وقد ضم هذا المسجد مجموعة من الموظفين بينهم الوكيل، الخطيب، الإمام، المدرس، المؤذن، الحزاب، بعض القراء وكان لهم مرتب خاص من الوقف.

2. الكتاتيب

تعتبر الكتاتيب القرآنية الركيزة الأساسية لتعليم اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية[3]، وهي من أهم مراكز التعليم انتشارا باعتبارها أقل وحدة في التعليم الابتدائي[4]،

---

[1]- بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص78-80.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص258.

[3]- أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، د.ط، دار الغرب، د.ب.ن، د.ت.ن، ص15.

[4]- بردي صليحة، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، الصادرة عن مختبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع11، ص131.

وكانت تبنى منفصلة عن المساجد لأجل الحفاظ على نظافته، ونتميز ببساطة المبنى وقلة الإمكانيات المادية، معلميها كانوا من الطبقة الفقيرة يقومون بتعليم القرآن قصد الحصول على لقمة العيش، وكانت منتشرة في جميع الأحياء وتحمل أسماء مختلفة تدل على مؤسسيها والقائمين عليها[1].

كانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء، والكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه وبعضها يحمل اسم زاوية، حيث كان يساهم في بنائها جميع طبقات المجتمع، فكان الباشوات والبايات والموظفون يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة العلمية الخيرية[2].

وللكتاب عدة أدوار ووظائف يقوم بها، فقد كان يهتم بتحفيظ القرآن وتعليم مبادئ وأسس الدين الإسلامي، بالإضافة إلى أنه كان يساهم في تعليم اللغة العربية وقواعدها، كما أن للتعليم الكتابي عدة خصائص ميزته عن بقية المؤسسات التعليمية، ولعل أهمها يمكن إيجازه فيما يلي: إمكانية التعليم لجميع فئات المجتمع الغنية منها والفقيرة، وعدم التكلف من أجل الالتحاق به فوسائله التربوية بسيطة يمكن الحصول عليها في البيئة المحلية، بالإضافة إلى أن الطريقة التربوية به عرفت نجاحا كبيرا بالرغم من أن الكتاب مؤسسة متواضعة[3].

تختلف مساحة الكتاب من كتاب إلى آخر،إلا أنه غالبا ما يشتمل على أربع حجرات واحدة لتعليم الصبيان، وأخرى سكن للطلبة وقاعة للصلاة أما الرابعة فكانت للمؤونة والأدوات الضرورية[4]، وعادة ما يجلس التلاميذ أو الأطفال على الحصائر في

---

[1]– مريوش أحمد وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، د. ط، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص18–19.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص277.

[3]– تيراري مختارية، التعليم بالكتاتيب في الجزائر في منظور الدراسات النفسية المعاصرة، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع56–57، 2001، ص61–62.

[4]– تيراري مختارية، المرجع السابق، ص14.

شكل دوائر نصفية، ويملون عليهم أجزاء من القرآن ويكتبونها على ألواح خشبية مطلية بالطين أو الصلصال، ويكتبون بأقلام مصنوعة من القصب والصمغ المصنوع من الصوف المحروق[1]، أو بعد الكتابة والتصحيح في الفترة الصباحية يقومون بقراءته ثم يتلونه في المساء، ويقرؤونه بأصوات عالية حتى يحفظونه وفي صباح اليوم الموالي يكتبون غيره، ونتم هذه الطريقة بصفة دورية حتى الانتهاء من حفظ القرآن كله[2].

ب. الزوايا والمكتبات

1. الزوايا

الزاوية مفرد لكلمة زوايا، فهي عبارة عن مبنى يضم قبة وضريح الولي أو شيخ الطريقة ومسجدا وقبور أبناء وأحفاد الولي أو الشيخ وأحيانا يضم مكتبة وملجأ للغرباء، وبعض الزوايا أصلها رباطات، وهناك زوايا اشتهرت بالتعليم وأخرى بالعبادة واستقبال الزوار والفقراء[3].

وهي مؤسسة تعليمية، يتفرغ فيها المرابطون للتعليم وإيواء الطلبة الذين يزاولون دروسهم، والزاوية بناية قد تكون صغيرة، أو كبيرة تحتوي على عدد من الغرف الضيقة وهي قصيرة الحيطان منخفضة القباب قليلة النوافذ شكلها يوحي بالعزلة، والتقشف وبها غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين ويعلو المبنى قبة ومقصورة لتأدية الصلاة[4]، و كانت الزوايا تمثل الصدارة بين مراكز الثقافة، من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب، وهي مقسمة لقسمين كل قسم يقوم بدوره فالقسم الأول يقوم

[1]– أحمد الأزرق، المرجع السابق، ص27.

[2]– أشرف صالح محمود السيد، المرجع السابق، ص68–69.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص9.

[4]– بونقاب مختار، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18–19، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي الياس، بلعباس، الجزائر، 2015–2016، ص74.

بتحفيظ القرآن أما القسم الثاني فيقوم بتدريس بعض فنون الوقت لاسيما الفقهيات والعقائد وقواعد النحو والصرف.

ويتمثل الدور الإيجابي للزوايا أنها قامت بوظيفة التعليم في وقت لم يكن فيه للتعليم من يتولاه ويشرف عليه ويرعاه[1]، حيث قامت بتحفيظ القرآن الكريم، ونشره بصورة مكثفة وعممته بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وهي لا ترتبط بالمفهوم الديني فحسب، بل كانت مؤسسة كاملة فيها كل مستلزمات العيش من سكن وطعام، والتعليم والعبادة، وكان البعض يعتبرها مدارس عليا لمواصلة التعليم الذي تلقنه الصغار في الكتاتيب، وتنوعت وظائفها وأدوارها بين الدينية التعليمية والاجتماعية وأيضا مهام سياسية جهادية[2].

ومن خلال هذا سنذكر بعض الزوايا:

- زاوية ابن نعمون:

وهي المعروفة باسم الزاوية التيجانية[3]، تقع بنهج السويقة نهج ملاح سليمان عند رقم 76، تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة والدروس العلمية، وبها مدافن آل بن نعمون وهما: محمد الشريف بن نعمون، وموني[4].

- زاوية النجارين:

تدعى أيضا زاوية حنصالة، نقع بحي النجارين نهج السعيد رواق رقم 19 تقام فيها الصلوات الخمس وبها بيت لتعليم القرآن للأطفال[1]، تقع بيت الصلاة فيها إلى الجنوب من

---

[1]– قشي فاطمة الزهراء، ممارسات قسنطينة في القرن الثامن عشر، مجلة سيرتا، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ع.خ، 2000، ص23.

[2]– بونقاب مختار، المرجع السابق، ص313.

[3]– محمد المهدي بن شغيب، المصدر السابق، ص255.

[4]– غربي كمال، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2013، ص173.

الصحن، وهي في شكل مستطيل ممتد عموديا على جدار القبلة بها، كما يوجد بها محراب عرف تغييرات وذلك بعد الترميمات التي تعرضت لها الزاوية[2].

- زاوية ابن الفكون:

توجد بحي الخرازين، وتعرف بالزاوية التجانية الفوقانية و بها قبر الشيخ عبد الكريم فكون[3]، وكانت هذه الزوايا تنشر العلم وتطعم الطعام لمن يقصدها من الزوار الذين لا ينقطعون طول أيام السنة، تخرج منها الكثير من أهل العلم والمعرفة[4]، درس بهذه الزاوية الشيخ عباس المولود اليعلاوي، والشيخ عباس الطولقي[5]، وقد بلغت الزاوية في عهد عبد الكريم الفكون أوج قوتها المادية والمعنوية، إذ أصبحت نتمتع بأموال طائلة وأملاك واسعة و مداخيل رسمية دينية[6].

- زاوية باش تارزي:

الشيخ عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بالباش تارزي وهو دفين هذه الزاوية فهي تحوي قبور آل باش تارزي[7]، تتكون من مدخل رئيسي يقع وسط الجدار الغربي[8]، ويوجد بها بيت للصلاة ذو شكل مربع وبه 3 بلاطات[9].

---

[1]- محمد المهدي بن شغيب، المصدر السابق، ص255.

[2]- غربي كمال، المرجع السابق، ص173.

[3]- بسكر محمد، الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين معالمه وأعلامه، مج5 ، د.ط، دار كردادة للنشر والتوزيع، د.ب.ن، 2018، ص265.

[4]- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ونشاطها، د.ط، دار البرق، بيروت، 2002، ص 313.

[5]- كمال غربي، المرجع السابق، ص177.

[6]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح أبو القاسم سعد الله، ط5 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص7-8.

[7]- العقبي صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص315.

[8]- بسكر محمد، المرجع السابق، ص265.

[9]- غربي كمال، المرجع السابق، ص177.

- **زاوية التلمساني:**

تقع بنهج قسطنطيني[1] استولى عليها جيش الاحتلال الفرنسي وأصبحت تابعة لفرقة الهندسة العسكرية، ثم تخلى عنها، وأجرتها السلطة الحاكمة للراهبات، وبعد عام 1298هـ/1880م استولى عليها اليهود وجعلوها معبدا لهم وعشا للصهيونية، طالب المسلمون برد هاته الزاوية بعد الاستقلال، وقاموا بتقديم الحجج الصحية التي تثبت ملكية الزاوية وانتزعوها من حوزة اليهود، لكن مفتشية الأوقاف بقسنطينة يومئذ استعملتها كمطعم لتلاميذ المعهد الإسلامي[2].

2. المكتبات

تعد المكتبات من المراكز الثقافية والتعليمية التي تعكس تراث الأمة وتطورها العلمي والأدبي والفني، حيث يذكر سعد الله أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكاتب، إذ كانت الكتب تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، أو التجليد من الخارج كالحجاز، ، إسطنبول، الأندلس، ويقول أيضا أنه قد وجد عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، وقسنطينة خير دليل على صناعة الكتاب من حيث التأليف والنسخ والجمع، بدرجة عالية، فكان للعلماء الفضل الكبير في جلب الكتب المتنوعة من العديد من الأماكن، ويضيف أن القضاة والدراويش عند المجيء بهم إلى الجزائر، اصطحبوا مكاتبهم وأوراقهم ووثائقهم وأهم الكتب التي جاؤوا بها الفقه الحنفي وصحيح البخاري[3].

---

[1]– المرجع نفسه، ص183.

[2]– محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص258.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص285.

كان نسخ الكتب يتم بالخط الأندلسي الذي سبق الخطوط الأخرى في المغرب العربي، فضلا عن الخط العثماني الذي جيء به إلى الجزائر[1]، وقد اشتهرت قسنطينة ببعض النساخ والخطاطين منهم أبو عبد الله بن العطار، كذلك الشيخ إبراهيم الحركاتي اشتهر أيضا بالنساخة وحسن الخط حتى أصبح مشهودا له بذلك[2].

مع سيادة العلوم الدينية في العهد العثماني فإن محتوى المكتبات كان من التفسير والأحاديث الدينية والفقه والأصول والتوحيد والعلوم العقلية واللغوية[3]، وكانت مكتبات الجزائر مقسمة إلى نوعين:

- **المكتبات العامة:**

التي أقيمت بجوار المساجد والزوايا وكذلك المدارس وتضم هذه المكتبات مختلف المخطوطات التي يلجأ إليها كل من الطلبة والعلماء من أجل الحصول على المعلومات وهي وقف على المساجد والزوايا والمدارس[4]، ومن أشهر هذه المكتبات في قسنطينة مكتبة المدرسة الكتانية[5].

- **المكتبات الخاصة:**

هي مكتبات خاصة بالمطالعة والبحث لكن في إطار العائلات العلمية والأعيان الذين لديهم غيرة على الكتب ونسخها[6]، فلم يكن اقتناء الكتب حكرا على المكتبات العامة

---

[1]– فريد محمود محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني1830 – 1518، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، 2013، ص438.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص290.

[3]– فريد محمود محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان، المرجع السابق، ص438.

[4]– درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين 10–13هـ، بين التأثير والتأثر، مذكرة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2014–2015، ص138.

[5]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص296.

[6]– درقاوي منصور، المرجع السابق، ص138.

الموجود بالجوامع والزوايا، فكانت العائلات التي نالت شهرة علمية لها مكتباتها الخاصة وعددها كبير جدا.

وقد ذكر سعد الله أن المكتبات في الريف لم تكن تختلف عن المكتبات في المدينة، إذ كان لها دور كبير في تنشيط الحركة التعليمية في البلاد، مما يدل على وفرة المخطوطات، إلا أن الكثير منها كان قد تعرض للضياع، سواء نتيجة الإهمال والنهب والتهريب، ومن جهة أخرى الحروب مع الأجانب، مما أدى إلى إتلاف العديد من المكتبات[1].

ومن خلال ذلك نستعرض أبرز المكتبات الخاصة النى كانت موجودة:

- مكتبة عائلة الفكون:

كانت لعائلة الفقون مكتبة ضخمة بقسنطينة[2]، اشتهرت هاته المكتبة من أوائل القرن القرن السادس في عهد عالم الأسرة وأديبها الشهير أبي علي حسن[3]، وهي المكتبة المعروفة باسم حمودة الفكون الذي كان موجودا عند دخول الفرنسيين مدينة قسنطينة.

ذهب ديسلان إلى قسنطينة غداة احتلالها واطلع فيها على المكتبة، وكتب تقريرا عن تواها بعد مكوثه بها لمدة خمسة أسابيع، فوجدها تحتوي على أكثر من ألفين وخمسمائة مجلدا وقد لاحظ ديسلان أن أكثر ما في المكتبة، كتب الفقه والدين موزعة على النحو التالي:

- الفقه والعقيدة: أكثر من خمسين كتابا.

- التوحيد: ثلاثون كتابا.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص302-303.

[2]- المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر-جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن 10-13هـ، جم واع عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص25.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص305.

- الحديث: ثلاثمائة كتاب.

- مصطلح الحديث: أحد عشر كتابا.

- علم القرآن: مائة وثلاثون كتاب.

- فقه المذاهب الأربعة: ثلاثمائة كتاب.

- التصوف: أربعون كتاب.

أما الكتب التاريخية والأدبية والعلمية فقد ذكر منها ديسلان بعض العناوين نذكر منها[1]:

- تاريخ الدولة العثمانية (لم نعرف لمن هو).

- وفيات الأعيان لإبن خلكان.

- شرح لامية العجم للصفدي.

- نفج الطيب للمغرين:

- سراج الملوك للطرطوشي.

- جغرافية إبن الوردي.

- سلافة العصر.

- فاكهة الخلفاء.

- ديوان إبن حزم وديوان إبن عربي وديوان الحفاجي.

- تاريخ إبن الجوزي.

[1]– المرجع نفسه، ص306.

- شرح التبريزي على المعلقات.

- شرح مقامات الحريري.

- مكتبة باش تارزي:

تعتبر أقل أهمية من مكتبة الفكون، ولكنها ضمت أكثر من 500 مخطوط وكان أغلبها في الفقه والدين، وذكر ديسلان أنه وجد فيها كتابين نادرين هما[1]:

- معارف ابن قتيبة.

- شرح ابن نباتة على ابن زيدون .

- مكتبة القاضي الحنفي محمد العربي بن عيسى:

ما وجدناه عن هذه المكتبة هو أنه استولى عليها الفرنسيون إثر احتلالهم لمدينة قسنطينة ودخولهم إلى منزل ابن عيسى بالقوة [2].

ج. الوقف ودوره في الحياة الثقافية

1. تعريف الوقف

الوقف في اللغة مصدر لفعل وقف يقف وقوفا ويطلق لفظ الوقف في اللغة على سوار من عاج، ويقال وقفت الشيء أوقفه وحبسه وهو المنع وتحبيس الأصل، وتسهيل المنفعة[3]، وهو عمل من أعمال الصدقة.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص308.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص309.

[3]- بوسعيد عبد الرحمان، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012، ص2-3.

ولا يتم الوقف إلا بتوفر أربعة أركان وأولها أن يكون الواقف أو المحبس عاقلا، وله كامل التصرف في ملكه[1]، وأن يكون الموقوف عليه أو الجهة المراد "الملك" لفائدتها أهلا للتملك كالفقراء وطلبة العلم ...الخ، بالإضافة إلى أن يكون الشيء الموقوف معلوما ومملوكا للواقف[2]، وأخيرا من شروط الحبس أن يتم عقد مكتوب ويعبر بوضوح بصيغة: "أوقفت" أو أحبست" أو "سبلت" حبسا مؤبدا ... لا يغير ولا يبدل[3].

- أنواع الوقف:

- الوقف الخيري العام:

وهو الوقف على جهة بر وخير بما يفيد الناس كالمساجد والمدارس.

- الوقف الخيري الخاص:

المراد به هو الوقف على الأهل والذرية[4]، وسواء كان الوقف خيري عام أو خاص تبقى مهمته واحدة وهي تغطية الخدمات الثقافية والاجتماعية، حيث كان له دور كبير في إنشاء وتدعيم المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس، وقد تكفلت مؤسسة بيت المال بتشييد المساجد والزوايا وترميمها وتتكفل بدفع أجور الطلبة المهتمين بتلاوة القرآن الكريم[5].

---

[1]- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، الجزائر، 2005، ص64.

[2]- بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص11.

[3]- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، المرجع السابق، ص64.

[4]- بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص12-14.

[5]- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.ن، ص207.

- المؤسسات الوقفية في قسنطينة خلال العهد العثماني:

- مؤسسات أوقاف سبل الخير الحنفية:

هي مؤسسات شبه رسمية، كانت تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس وموظفين وفقراء، وكانت يديرها جماعة يعينها الباشا،واهتمت هذه المؤسسات أيضا بالمشاريع الخيرية كإصلاح الطرق، ومد قنوات الري، وقد كان لها نفوذا كبيرا في المجتمع وذلك لأهمية الأوقاف التي كانت تتلقاها المنشآت التي كانت تشرف عليها[1].

- مؤسسة الحرمين الشريفين (مكة والمدينة):

هي من أقدم المؤسسات الوقفية فهي تعود إلى ما قبل العهد العثماني وقد كان لها أهمية كبيرة في المجال السياسي فقد كانت تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي من طرف ركب الحج الجزائري المتجه نحو مكة و المدينة.

حظيت هذه المؤسسة بأغلبية أوقاف مدينة قسنطينة، وذلك يعود إلى الأهمية التي تحتلها الأماكن المقدمة في قلوب الجزائريين وقد كانت لها أملاك كثيرة في جميع أنحاء الجزائر[2]، وكانت أموالها تعود إلى أهالي فقراء الحرمين، وذلك كل سنتين، وقد كانت المؤسسة تشرف أرباع الأوقاف عليها، ومن أشهر من حمل صدقة مكة والمدينة من قسنطينة عبد الكريم الفكون والقاضي أحمد العباسي.

---

[1]- المرجع نفسه، ص143.

[2]- غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، وزارة المجاهدين، 2007، ص243.

- مؤسسة أوقاف بيت المال:

تعتبر هذه المؤسسة من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية والتي تدعمت في العهد العثماني خاصة في الباشوات، وهي مؤسسة ذات وظيفة رسمية وطبيعة اجتماعية خيرية، فكانت تتولى إعانة أبناء السبيل واليتامى والفقراء والمساكين والأسرى، كما تهتم بشؤون الخراج وشراء العتاد وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن العبادة، كانت هذه المؤسسة بدورها توزع ما تتلقاه من صدقات وما تديره من الأوقاف كما تنفق في سبيل الرقيق، كما كانت تتصرف في الغنائم التي تعود للدولة، وقد ذكر المؤرخون أن الباشا كان يعين قاضيا لمساعدة أمين بيت المال في إدارة المؤسسة[1].

- مؤسسة أوقاف الأندلسيين:

كان أغنياء الجالية الأندلسية المقيمين في الجزائر، يوقفون الأملاك على إخوانهم اللاجئين الفارين من الأندلس، وتزايد نفوذهم مع مرور الوقت، وقد شجعتهم السلطات على إنشاء هذه المؤسسة التي كانت هدفها التضامن وخدمة الفقراء[2].

- أوقاف الزوايا والأولياء والأشراف :

الأشراف فئة مميزة في المجتمع الجزائري ولهم أوقاف خاصة وقد كان لهم نقابة خاصة (الأشراف)، وكان لأوقاف الأشراف وكيل خاص وتعود أغلب أحباس هذه المؤسسة إلى أضرحة الأولياء الصالحين والمدارس والأشراف، حيث تشتمل مهمة هذه الأحباس في تسديد التكاليف الجارية للمؤسسة التعليمية والدينية، وكانت فوائدها تعود إلى

[1]- مريوش أحمد، المرجع السابق، ص216.

[2]- سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص97.

الفقراء الأشراف وأوقاف بيت المال، وكانت كثيرة في مختلف المدن ومنها مدينة قسنطينة[1].

- أوقاف المرافق العامة (الطرق، العيون والسواقي):

تسمى بالمؤسسات غير دينية ولكنها مواقع دينية والرغبة في الثواب الجزيل بإرواء عابري السبيل وقد أوقفت عنه أملاك داخل مدينة قسنطينة وخارجها، للإنفاق على المرافق العامة كالطرق والسواقي[2].

- مؤسسة الأوجان (أوقاف الجند والثكنات):

يعود أصل هذه الأوقاف إلى الجنود الذين ترقوا في رتبهم العسكرية، حيث ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الإداري الذي يحوزه الواقف، وقد كانت مداخيل الأوقاف تصرف أشياء ترفيهية مثل الهدايا التي يقدمها وكيل الوقف لجنود الفرق الوقفية[3].

2. دور الوقف في الحياة الثقافية

اعتبرت الأوقاف أهم مورد للتعليم الإسلامي، ويرجع الفضل للأوقاف في تنظيم الحياة العلمية والدراسية، وبقائها مدة طويلة، لأن الإسلام أمر بطلب العلم، وأعلى من مرتبة العلماء حيث ساهم انتشار الأوقاف في ظهور المدارس وتعميم التعليم ، وكانت مصدر نمو المساجد والكتاتيب وكل المؤسسات العلمية، فبناء المساجد كان نتيجة مبادرات فردية قام بها الحكام والأهالي من مالهم الخاص، فقسنطينة كانت تخصص

[1]– غطاس عائشة، المرجع السابق، ص300.

[2]– سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المرجع السابق، ص101.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص241.

منحة سنوية للطلاب من دخل الأوقاف قدرت ب 36 فرنكا، وأعدت زوايا خاصة للطلبة المجاورين من أجل الإيواء[1].

وكانت أملاك الأوقاف تتمتع بحصانة قوية بحيث لا يستطيع الحكام مهما كانت رتبتهم المساس بها، وبفضل أموال الأوقاف على المدارس والزوايا في المدن والأرياف انتشر التعليم في مختلف أنحاء الجزائر بحيث كان معظم الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة، وهذا ما شهد عليه الفرنسيون عند احتلالهم الجزائر[2]، وللوقف أغراض أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

– العناية بالعلم والعلماء، الفقراء، المساكين، والأرامل واليتامى حيث كان بعين مدخول لتموين المساجد والزوايا والكتاتيب والأضرحة، وقد عرف العديد من الشخصيات الدينية والسياسية من العثمانيين أنهم خصصوا مداخيل الأوقاف لخدمة المساجد وكذلك عرفت فئة النساء في المجتمع هذا النظام.

– الإنفاق على رجال العلم والمدرسين والطلبة بإعانتهم على مواصلة دراستهم بالجامعات الإسلامية كالزيتونة والقيروان.

– العمل على تماسك الأسرة الجزائرية وحفظ حقوق الورثة.

– التأثير الديني والسياسي خارج الحدود كإرسال النقود سنويا إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج[3].

[1]– بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص50–52.

[2]– عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002، ص109.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص230–232.

الفصل الثاني:

النشاط التعليمي في مدينة قسنطينة

أواخر العهد العثماني

تعتبر المدارس من أهم المراكز التعليمية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني حيث ساهمت مساهمة فعالة من حيث النهوض بالحركة التعليمية و نشر العلم و رفع الجهل عن الناس فأصبحت مقصد طلاب العلم من مختلف أنحاء القطر الجزائري، و أيضا تدل على رقي المدينة و تطورها، كما ساهمت الأسر العلمية القسنطينية في تقدم الحركة التعليمية بالمدينة.

أ. المدارس التعليمية

يعرفها ابن ميمون بأنها أماكن لإلقاء الدروس[1]، بينما يعرفها المؤرخ الجزائري أبو راس الناصري في كتابه "عجائب الأسفار" من خلال قوله: "المدرسة هي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه"[2]، فالمدارس العلمية مؤسسات ثقافية، تتمثل وظيفتها بصور أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وكان ظهور هذا النوع من المؤسسات بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية، فالجزائر لم تكن بها جامعات أو مدارس عليا بالمفهوم الحالي خلال العهد العثماني[3].

شهدت مدينة قسنطينة عددا كبيرا من المدارس، حيث يقول عبد القادر دحدوح أن عدد المدارس بها وصل إلى سبعة وتسعون مدرسة، منها سبعة ثانويات والباقي في شكل كتاتيب[4]، أما خلال احتلال مدينة قسنطينة جاء في التقرير الذي كتبه الجنرال بيدو عن التعليم حيث قال عنه أنه كان منتشرا في قسنطينة، وكان بها مدارس من مختلف

---

[1]– محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص58–59.

[2]– محمد بن أحمد أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح محمد غانم، ج1، د.ط، د.د.ن، د.ب.ن، د.ت.ن، ص188.

[3]– مريوش أحمد، المرجع السابق، ص15.

[4]– دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني–دراسة عمرانية أثرية–، أطروحة دكتوراه، في الآثار الإسلامية، ج1، جامعة بوزريعة، معهد الآثار، الجزائر، 2009–2010، ص95.

المستويات قدر عددها تسعون مدرسة ابتدائية يتردد عليها بين 1300 و 1400 طفل، وقد كانت هاته المدارس تابعة للمسجد أو الزاوية[1]، وكانت نفقاتها من الأوقاف.

لقد لعبت المدارس دورا كبيرا بالنسبة للتلاميذ، فهي نتكون من مجموعة من الغرف مفتوحة على فناء داخلي، وجدت فيه منارة المؤذن، كان المعلمون يعينون من قبل الداي كان عددهم معتبرا، ويعيشون على عائدات تلك الأملاك الوقفية، والكثير منهم يجمع بين مهنة الإفتاء والتدريس.

وقد كانت وظيفة التدريس مقدسة، حيث قيل بأن التعليم عمل صالح خالبا ما تقوم به العائلات الثرية، ألا وهو التكفل بطالب أو مجموعة طلبة من الذين كانوا يدرسون العلوم الدينية العليا، وكان التعليم نفسه الذي يتم في الزوايا.

أما فيما يخص العلوم التي كانت تدرس بهاته المدارس فتنوعت إلى ثلاثة أصناف:

1. العلوم الدينية

تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وشرحه وتفسير الحديث وتعليم الفقه والتوحيد والمنطق والأصول.

- التفسير:

تدريس هذا العلم كان شائعًا بين العلماء، لكنه كان متميزًا بالتقليد أيضًا. فمعظم مفسري القرآن الكريم كانوا يعتمدون على أقوال من سبقهم دون أن يقدموا آراء جديدة[2]، على سبيل المثال، كان عبد القادر الراشدي القسنطيني يُعقد جلسات لمناقشة التفسير،

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص26.

[2]- المرجع نفسه، ص9-13.

ومن خلال مواقفه، كما في رسالته التي كتبها حول تحريم شرب الدخان، يمكن القول إنه كان يُعتبر مبتكرًا في تفسيره، حيث لم يكتف بتقليد آراء السابقين في العلم.

- الحديث:

حظي هذا العلم بمستوى ملحوظ من الاهتمام، سواء فيما يتعلق بالتدريس أو الكتابة أو الرواية. وكان يعتمد بشكل كبير على الحفظ، حيث كان من النادر أن نجد مدرسًا لهذا العلم إلا وكان ماهرًا في تعليمه. كانت المواقع التي يُدرَّس فيها هذا العلم عادةً جوامع كبيرة، وكان يكلف بإملاء الأحاديث فقط العلماء الكبار والذين يتمتعون بأصوات جيدة[1].

- المنطق:

الإنتاج في هذا العلم قليل، أو بالأحرى يمكن القول إنه نادر، باستثناء ما قدمه قلة من العلماء، مثل ابن قنفذ القسنطيني. وهذا يعود إلى سببين رئيسيين: الأول، لأنه علم صعب يتطلب معرفة واسعة بكتابات السابقين والأجانب، إضافةً إلى القدرة على توسيعها ونقدها. والسبب الثاني، هو طغيان علم التصوف.

يعتبر عبد الرحمان الأخضري من أبرز مؤلفي هذا العلم، حيث ظلت أعماله حية وموضوعة تحت المجهر في مختلف البلاد. ومن بين أهم أعماله في هذا المجال، السلم المرونق الذي أصبح نموذجًا يُدرس حتى الآن بعد مرور أربع قرون. وقد أوضح أن دراسة المنطق قد تبدو في الظاهر تعارض دراسة الدين، إلا أنه دافع وأثبت أنه لا يوجد أي تناقض بينهما[2].

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص25.

[2]- المرجع نفسه، ص149-150.

2. علوم اللغة والأدب

- النحو:

ومن أبرز من تناوله زيان بن فائد القسنطيني، فقد كانت له دراسات في هذا المجال وذكر الورثلاني، أنهذا العلم كان له عناية في قسنطينة ومن بين الذين اشتهروا في هذا الميدان، أيضا عبد الكريم الفكون الذي كانت له مجموعة من المؤلفات كذلك، أما عاشور الفكيرين القسنطيني فقد عرف بتدريسه لهذا العلم، ومن بين الذين درسوا هذا العلم في قسنطينة أيضا الشيخ محمد التواتي أوائل القرن السابع عشر، ودرس بها لمدة طويلة تردد عليه الطلاب من بلاد مختلفة ومن أبرز تلاميذه عبد الكريم الفكون.

- علم البيان والمعاني:

من العلماء الذين برزوا في هذا العلم عبدالرحمان الأخضري الذي ألف الجوهر المكنون وشرحه بنفسه، لكنه توفي قبل أن يتم شرحه فكان هذا حافزا للعلماء كي يتموا هذا النقص، ومنهم أحمد بن المبارك العطار القسنطيني في مؤلفه نزهة العيون وأيضا عبد الكريم الفكون[1].

3. العلوم الطبيعية والتجريبية

إذا أردنا التحدث عن هذه العلوم مثل الطب والحساب والفلك خلال العهد العثماني، نلاحظ أنه كان يتم تدريسها في المدارس ولم تحظ بعناية كبيرة كما أنها لم تخرج عن ظاهرة التقليد، فحلت محل الحساب معلومات سطحية عن تعديل وقسمة التركات، وحلت محل الطب الخرافات والشعوذة ومن بين علماء قسنطينة الذين ألفوا في هذا المجال نجد أيضا عبد الرحمان الأخضري، فقد نظم خمسمائة بيت سماها الدرة

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص157.

البيضاء وقسمها إلى ثلاث أقسام الأول خاص بالحساب، والثاني بقواعد الفرائض و الثالث بالقسمة العملية للتركات، وقد شرح هذا التأليف بنفسه[1].

مورست مختلف النشاطات التعليمية بالمدارس والزوايا والمساجد، تحت إشراف الأوقاف كونها الهيئة الوصية عليها، وقد انقسم التعليم إلى 3 مراحل:

- التعليم الابتدائي:

كان منتشرا بكثرة، بعد أن تولته المدارس القرآنية فلا نكاد نجد قرية أو حي يخلو من مدرسة قرآنية، ويضم الفئة العمرية ما بين السادسة والعاشرة، يتلقى فيه الأطفال مبادئ القراءة والكتابة، والحساب وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، وكانت فئة الذكور أكثر من البنات، أما أصحاب العائلات الكبرى فكانوا يجلبون أستاذا معروفا بعلمه وصلاحه يعلم البنات، والمدة التي يقضيها التحصيل المعرفي في الابتدائي محددة بحوالي 4 سنوات[2].

- التعليم الثانوي:

التعليم في هذه المرحلة يتوسط الحلقة التعليمية بين الطورين الابتدائي والعالي، حيث كان التعليم الثانوي يتم في الجامع أو في مدرسة ملحقة وهو مجاني[3]، وخصصت هذه المرحلة من التعليم لدراسة اللغة والأدب، الميراث والحساب[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص401.

[2]- بردي صليحة، المرجع السابق، ص131.

[3]- المرجع نفسه، ص132-133.

[4]- مريوش أحمد، المرجع السابق، ص78.

- التعليم العالي:

هذا التعليم لا يصل إليه إلا الطلبة المتفوقون، وكانت الدروس تعطى في الجامع كالجامع الأخضر، وجامع سيدي الكتاني، وقد تنوعت الدراسات فيه ومن أشهر الأساتذة الذين درسوا بهذا الطور عبد الكريم الفكون، عبد القادر الراشدي وعمر الوزان وأحمد العباسي، وهؤلاء الأساتذة هم مضرب المثل في العمق والإحاطة والرقي[1].

وكان في قسنطينة عدة مدارس نذكر منها:

- مدرسة سيدي الأخضر:

أنشأها صالح باي بجوار مسجد سيدي الأخضر عام 1193هـ/1779م، بجوار الجامع الأخضر[2]، نتزين هاته المدرسة بكتابة تجمع عددا كبيرا من الحكم والنصائح والإشارات تدعو الطلبة إلى التقوى والصبر والورع ومحاربة الأهواء وتنتهي بتاريخ بناء المدرسة

وجاء في نص الكتابة ما يلي: "فاز بالسعادة من أخلص العبادة ... رحم الله امرءا جعل الصبر مطية زاده والتقوى عدة وفاته ... رحم الله من قصر الأمل وبادر الأجل واغتنم المهل وتزود من العمل ... ذكر الله نور الإيمان ومطردة الشيطان ... ذكر الله شعار المخلصين وشيمة المتقين ... العاقبة في الذكر حياة القلوب وفي رضى الله نيل المطلوب ... وفي الطاعة كنوز الأرباح وفي الغروب عن الدنيا درك للنجاح .. ذكر الله مجالسه ... العز لله ... خاف الهوى تسلم واعرض عن الدنيا تغنم[3]... ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر .. ذكر الله أجل العادة وأجمل مادة ... جهاد النفس ثمن الجنة

[1]- بردي صليحة، المرجع السابق، ص132-133.

[2]- محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص240.

[3]- غربي كمال، المرجع السابق، ص195.

... فمن جاهد نفسه ملكها وهي أكمل ثواب الله لمن عرفها ... جاهد نفسك وقدم توبتك وأغلب شهوتك امنع طاقة غضبك يكمل عقلك وتستكمل ثواب ربك ... طوبى للمنكسرة قلوبهم من أجل الله ... طوبى لمن شغل قلبه بالفكر ولسانه بالذكر ... يارب واجعل رجائي غير منكسر لديك واجعل حسابي غير منحزم .. العز لله ... قد تم بناء هاته المدرسة في ذي الحجة سنة 1193 والحمد لله رب العالمين[1].

وللمدرسة بعض القوانين نذكر منها:

- كل تلميذ لا يواظب على متابعة الدروس يطرد،

- لا يسمح لأي طالب داخلي المبيت خارج المدرسة إلا للضرورة القصوى أو زيارة الأهل.

- العطلة تدوم 20 يوما على أكثر تقدير.

- كل تلميذ يقضي عشر سنوات في المدرسة دون أن يظهر تقدما وقدرة على دراسة العلوم فإنه يطرد ويعوض بآخر[2].

- المدرسة الكتانية:

تأسست هذه المدرسة على يد صالح باي تبركا بالولي الصالح سيدي عبد الله بن هادي المعروف بسيدي الكتاني أطلق عليها اسم المدرسة الكتانية، وقبل تأسيس هذه المدرسة سبقها بناء مسجد سيدي الكتاني ، وصرف عليه أموالا قل نظيرها، وجعل له أوقافا كثيرة، بمعنى أن هذه المدرسة هي مكملة لهذا المسجد وتعد امتدادا له، وخصص لهما أوقافا خيرية كثيرة بلغت ستة عشرة عقدا ، حسب سجل صالح باي للأوقاف، حيث

[1]- غربي كمال، المرجع السابق، ص196.

[2]- فايسات أوجان، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية، تر أحمد السيساوي، ط1، دار كنوز بوغر للنشر والتوزيع، د.ت.ن، قسنطينة، الجزائر، ص160.

كان هذا الباي كلما بني مسجدا إلا ويلحق به مدرسة تكون مجاورة له[1]، تقع هذه المدرسة بجوار جامع سيدي الكتاني وملاحقه من الجهة الشرقية، وهي نتفتح على شارع بوهالي العيد.

كانت هذه المدرسة بمثابة مستوى التعليم الثانوي والعالي، نفس النظام الذي وضعه صالح باي للمدرسة الأخضرية، وضعه كذلك في هذه المدرسة وكانت المدرسة تضاهي المدارس الأجنبية العليا المعاصرة لها، وهذا ما جعل المدرسة تلعب ذلك الدور الكبير الذي أشرنا إليه في المجال الثقافي، وبقيت على هذا الدور حتى في العهد الفرنسي وهي ما تزال قائمة إلى اليوم[2].

تعتبر مدرسة سيدي الكتاني إحدى روائع الفن الجزائري في الهد العثماني، وتوجد بها كتابتين جاء في النص الأول ما يلي:

- بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد.
- الذي قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا.
- لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا.
- حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة الله.
- وفضل لم يمسسهم سوءا واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم.
- أنظر ترى نزهة العيون قد زينت يكاد رونقها يسموا على القمر.
- تميس في حلل الجمال قائلة في تماثل وحسن روضة الزهر.

[1]- قاصري محمد السعيد، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، ع18، 2015، ص156.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص284.

– مدرسة تذهل في بهجتها الألباب تشفي بالعلم سيقام الجهلي البعث.

– بناها صالح باي المرتضي وجلالها من حسن سيرن و على الدرس.

– فجر الملوك وسلطان السلاطين قد شاع عدله البدو والحضر.

– حب الخير لكل الناس من مسلم وغيره ومردي الأعداد بالظفر[1].

كتب هذا النص على لوحة في الرواق الخارجي، بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز تتألف من إحدى عشر سطرا باللون الأصفر على أرضية بنية، كما تتميز هاته اللوحة بخطها الجيد والجميل[2].

أما الكتابة الثانية فقد جاء في نصها ما يلي:

– **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**[3].

– **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار**[4].

لوحتين من الجص مثبتتين في المحراب الأولى تؤطره من الداخل والثانية من الخارج، كتابة قرآنية نقشت بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز، كتبت بالخط الأصفر على أرضية زرقاء. وهي عبارة عن آيتين قرآنيتين كريمتين[5].

[1]– طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص67.

[2]– المرجع نفسه، ص107.

[3]– سورة الحج، الآية 77.

[4]– سورة البقرة، الآية 201.

[5]– طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص109.

ب. العلماء وإنتاجهم الثقافي

اهتم كثير من الباحثين بفئة العلماء لما كان لها من قيمة في الدين والسياسة وشؤون الحياة عامة، وتأتي أهمية العلماء والفقهاء حسب ابن خلدون في المجتمع في تأطيرهم لشؤون الرعية، سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو العلم أو التدريس: "من إمامة وفتيا وقضاء وعدالة وحسبة، وقد قام العلماء بذلك في مختلف الفترات التاريخية"[1].

وقد اعتبر أفراد فئة العلماء كمرشدين دينيين واجتماعيين عند طريق التوعية الفكرية والدينية وأحيانا يكونوا في وجه الانحراف السياسي والتعسف الضريبي وهذا ما زاد من قوتهم ومكانتهم، وحظيت هذه الفئة بالاحترام والتقدير من طرف المجتمع[2].

لقد أنجبت قسنطينة أجيالا من العلماء الموسوعين والمفكرين لاحتوائها على عدد هائل من المؤسسات الثقافية، الذين تجاوزت شهرتهم ومكانتهم بلاد الجزائر، واشتهرت بها عائلات علمية كثيرة توارث أبناؤها العلم والفكر والثقافة جيلا بعد جيل وخلفا بعد سلف[3]، وفي هذا يقول بول قافاريل: "كانت قسنطينة على عهد الأتراك ... عاصمة دينية، وكانت العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية، ثم يتفرقون في أنحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم، أن قسنطينة كانت حقا مبعث نور الجزائر، كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم"[4].

---

[1]– لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص409.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص409–417.

[3]– بوعزيز يحيى، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص56.

[4]– محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص52.

- **عمر الوزان:**

عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني، المعروف بالوزان، ويقول ابن شغيب هو أبو حفص عمر بن عبد الخالق الوزان[1]، نسبة إلى واد الزان ببلد المغرب الأقصى، وربما كان لفظ –وزان– مشتقا من الوزن ومعناه القائم بالحق بين الناس وإعطاء الميزان حقه لاشتغال سلفه بالتجارة[2]، وهو فقيه أصولي صوفي مشارك في العلوم العقلية والنقلية، كان يهتم بالحديث واللغويات ويحفظ البخاري بأسانيده[3].

كان متمسكا بمهنة التدريس رافضا الوظيفة الرسمية حتى أنه اعتذر عن قبول وظيفة القضاء حين عرضت عليه، وقال عنه الفكون: " كان ياقوتة العصر والأوان .. كان بحرا لا بحار في العلوم فقها وأصولا ونحوا وحديثا[4].

كان له عدة مؤلفات في العلوم الشرعية من فقه وحديث وتوحيد وفلك وتفسير وأصول منها:

- النوازل وهو مجموعة من الفتاوى.
- البضاعة المزجاة في علم الميقات.
- الرد على المرابط عرفة القيرواني.
- فتاوى في الفقه والكلام.
- حاشية على شرح القصيدة الصغرى للسنوسي.

---

[1]– الشيخ أبو عمران وسعيدوني ناصر الدين، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص548.

[2]– محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص140.

[3]– الشيخ أبو عمران وسعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص548.

[4]– محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص140.

- تعليق على قول الخليل.

- المواقف على طريق الطوالع[1].

- عبد الكريم الفكون:

هو عبد الكريم الفكون بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني[2]، أديب نحوي. محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره[3]، من أبرز أفراد العائلة علما وعملا وسمعة، ففي عهده بلغت عائلة الفكون أوج قوتها المادية والمعنوية، كما أصبحت نتمتع بنفوذ روحي بلغ درجة قصوة حتى أن الهارب إليها ينال الأمان[4].

ولد سنة 988هـ/1580م، وتوفي سنة 1073هـ/1662م[5]، سمي على جده لأنه ولد على إثر وفاته، ويقول الفكون أنه عندما كانت والدته حاملا به سألت جده الدعاء فقال لها: "جعل الله عمارة الدار منك". وهذه العبارة إن صحت تدل على أن الفكون كان أول مولود لأبيه محمد[6].

إن ثقافة الفكون ثقافة محلية، فلم يغترب من أجل العلم فهو لم يرحل لا داخل الجزائر ولا خارجها لطلب العلم، والرحلات التي قام بها كانت بعد نضجه، في نطاق مهمة أداء الحج وقيادة ركب الحج[7].

---

[1]- بسكر محمد، المرجع السابق، ص30-31.

[2]- عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص7.

[3]- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1980، ص254.

[4]- عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص7.

[5]- المصدر نفسه، ص8.

[6]- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص58.

[7]- المرجع نفسه، ص63.

بعد وفاة الجد تولى عبد الكريم جميع وظائف والده من إمامة وخطابة بالجامع الكبير، وأن والده أطلق عليه شيخ الإسلام، وتوفي أبوه أثناء عودته من الحج في مكان بين الحجاز ومصر سنة 1045هـ وعائلة الفكون بلغت مجدها الديني والدنيوي في عهد عبد الكريم الفكون الجد [1].

ألف الفكون مجموعة من الكتب والكتيبات التي يسميها تقاييد أو رسائل، ويبدو أن هذه التآليف ألفها قبل توليه وظائف أبيه، حيث ألف مواضيع اجتماعية ومواضيع في اللغة والنحو ومنها مواضيع أدبية[2]: محمد السنان في نحور إخوان الدخان[3]، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية يعتبر من أهم تآليف الشيخ عبد الكريم الفكون[4]، ديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، شرح على أرجوزة المكودي سماه "شرح على البسط والتأليف في علم التصريف"، الدرر في شرح المختصر وهو على مختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري[5]، شرح شواهد الشريف على الأجرومية، شرح مخارج الحروف من الشاطبية، فتح الهادي في شرح المجرادي[6].

[1]– سعودي يمينة، المرجع السابق، ص56.

[2]– أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص145.

[3]– المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص278.

[4]– بوخلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2008–2009، ص93–94.

[5]– أبو عمران الشيخ وسعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص426.

[6]– بوخلوة حسين، المرجع السابق، ص94.

- ابن العطار:

هو الحاج أحمد بن عمر بن أحمد بن العطار القسنطيني، ويعرف أيضا باسم الحاج أحمد ابن المبارك[1]، ولد بقسنطينة سنة 1790م[2]، وعرف بكنية بسبب أصوله غير غير القسنطينية.

قضى ابن المبارك معظم حياته بقسنطينة، ثم انتقل وهو في سن مبكرة إلى مدينة ميلة فتلقى فيها مبادئ العربية في زاوية أسرته المعروفة بعائلة ابن العطار، ثم عاد إلى مسقط رأسه قسنطينة في سن الصبا واستقر بها إلى أن توفي عام 1870م[3].

تولى منصب المفتي المالكي وتولى أيضا التدريس في مدرسة قسنطينة الدولية في 1850م، وعين أيضا بالمجلس الشرعي الإسلامي المحلي الذي ترأسه محمد المكي بن سعد البوطالبي[4].

فيما يخص مؤلفاته فقد ترك: نصيحة الإخوان التي شرحها صالح بن مهنا الأزهري وسماها "فتح الرحيم الرحمان في شرح منظومة نصيحة الإخوان"، وتناولت هذه المنظومة أصول التربية وآداب السلوك في الطريقة الحنصالية الشاذلية[5]، ومن مولفاته أيضا "سلم الوصول في الصلاة على الرسول" وقصيدة في مدح الرسول وله أيضا الجوهر المكنون في ثلاثة فنون[6].

---

[1]- محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص273.

[2]- أبو عمران الشيخ وسعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص360.

[3]- الحاج احمد ابن مبارك بن العطار، المصدر السابق، ص3.

[4]- محمد المهدي بن علي شغيب، المصدر السابق، ص274.

[5]- المصدر نفسه، ص172.

[6]- بسكر محمد، المرجع السابق، ص105.

إلا أن ما اشتهر به ابن العطار هو تاريخه حول قسنطينة في كتابه تاريخ مدينة قسنطينة تناول فيه أبرز الأحداث التي مرت بها المدينة في العهد العثماني، فأشار في بدايته إلى تأسيس المدينة و موقعها وتحصيناتها، كما ركز على الأعمال العمرانية لصالح باي وقضية مقتله، وذكر الحضارات التي مرت بالمدينة وقدم أيضا تعريفا موجزا لبعض الدايات الذين حكموها، وتميز الكتاب بأسلوبه السهل ولغته البسيطة التي تتخللها بعض ألفاظ الدارجة، وضع هذا الكتاب سنة1852 م بطلب من المكتب العربي بقسنطينة، وهذا ما جعله يهمل الحياة الثقافية و الأوضاع الاقتصادية[1].

- عبد القادر الراشدي:

هو عبد القادر بن محمد الراشدي، ولد حوالي 1118هـ/1704م وتوفي سنة 1194هـ/1780م، فقيه مالكي وقاضي أصله من الرواشد[2]، قال عنه الحفناوي:" المحقق المجتهد الأصولي الكلامي قرأ في وقته وعضد زمانه، نسبة للرواشد مدشر من مداشر فرجيوة غرب قسنطينة، تولى أوائل العشرة الثانية من القرن الثاني عشر للهجرة وهي تابعة حاليا إلى ميلة[3].

تولى الراشدي القضاء والفتوى في مدينة قسنطينة، ودرس بجامع سيدي الكتاني ومدرسته، ودرس العلوم الشرعية وغيرها، كان له بعض المؤلفات خاصة التفسير، ولكن ليس من المعروف إذا كانت هذه التفاسير قد جمعت في كتاب واحد، فهو لم يتناوله بصورة منتظمة وإنما جاء تناوله في مناسبات معينة، ونتيجة لآرائه وفتاويه واجه بعض

[1]- سعودي يمينة، المرجع السابق، ص97-98.

[2]- نويهض عادل، المرجع السابق، ص145.

[3]- الحفناوي محمد أبي القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ج2، ص212.

التحديات مما أدى ببعض العلماء إلى الحكم عليه بالزندقة والكفر، ولولا صالح باي لفتكوا به[1].

لقد كان للراشدي عدد كبير من المؤلفات في العديد من الفنون، وهذا بسبب توسع ثقافته ومؤلفاته كالآتي :

- متسعة الميدان في إثبات وجه الوزن وآلة الميزان:هو مخطوط ضم مجموعة من الرسائل، يتكون من 160 صفحة فرغ من كتابته سنة 1871م.

- حاشية على المواقف العضدية.

- مفاد التحصيل لإعداد السبيل: وضعه ردا عن مخالفيه في قضية التأويل.

- رسالة التوحيد.

- تجديد الإيمان في أواخر الزمان[2].

- كتاب في مباحث الاجتهاد:شرح فيه المسائل الأصولية والكمالية.

- تحفة الإخوان في تحريم الدخان: تناول هذا الكتاب أسباب تحريم الدخان وأضراره.

- رسالة في حكم من جرى حلفه حرام[3].

- عقد الآلي المستضيئة لنفي ظلام التلبيس: نناول فيه الراشدي الكثير من عائلات قسنطينة وقبائلها من عرب وبربر.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص14.

[2]- بسكر محمد، المرجع السابق، ص391.

[3]- محمد الحاج عيسى أبو عبد الله، عقيدة العلامة عبد الحميد بن باديس ويليه أضواء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، تق محمد علي فركوس، دار الإمام مالك، الجزائر، 2003، ص95.

– قصيدة طويلة وصف فيها قدوم الإسبان إلى الجزائر و تشييد باستمالة القائد صالح باي في الدفاع عن العاصمة.

– قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه و سلم.

– قصيدة في مدح شيخه أبي العباس المكودي[1].

– الشاذلي القسنطيني:

هو بن الحاج بن إبراهيم بن أحمد الصولي، يرجع نسبه إلى قبيلة البوازيد التي تقطن حول طولقة بالزيبان، والتي هاجرت نحو هذه المنطقة. وقد ولد الشاذلي القسنطيني بضواحي قسنطينة سنة 1807م[2].

كرس الشاذلي القسنطيني وقته كله للدراسة والتعلم، فلقد عرفت قسنطينة أثناء نشأته حركة علمية جيدة، تلقى فيها بعض المعارف الأدبية والفنية، تلقى علومه على يد أشهر علمائها من أبرزهم بن سالم و أحمد العباسي الذي أخذ عنهم والحديث، والأدب والخطابة والحساب، كما أنه أصبح قاضيا مالكيا بعد حوالي عشر سنوات وأخذ الفقه و الأصول عن الشيخ بن طبال و كذلك عن الشيخ مصطفى باش تارزي[3]، ومن خلال هذه المعارف كون الشاذلي القسنطيني ذوقا أدبيا و رصيدا لغويا كبيرا، وأيضا رصيدا من الفقه. غادر إلى نواحي سطيف بعد احتلال فرنسا لقسنطينة كانت له علاقة مع الكبار من الضباط الفرنسيين حتى أنه تولى القضاء بعد موافقتهم حوالي عشرين سنة، كما أنه تولى إدارة مدرسة سيدي الكتاني سنة 1850م ودرس بها[4].

---

[1]– الراشدي عبد القادر، تحفة الإخوان في تحريم الدخان، تح عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص37.

[2]– أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص31.

[3]– أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، المرجع نفسه، ص33.

[4]– نويهض عادل، المرجع السابق، ص185.

- ابن قنفذ القسنطيني:

هو الإمام العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن ميمون الشهير بابن قنفذ ولد بقسنطينة وتعلم بها، وهو المحدث الفاضل المبارك المنصف، لا يعرف تاريخ مولده على وجه اليقين، لأنه هو نفسه لم يذكر تاريخ ولادته في أي من مصنفاتها[1]، باحث له علم بالتاريخ والتراجم والفلك، ألف في فنون شتى أما بالنسبة لشهرته بابن الخطيب فهذا لأن جده تولى الخطابة لمدة أزيد من 50 سنة، وشهرته بابن قنفذ هي شهرة عائلته قديما لا نعرف لها سببا[2]، توفي سنة 810هـ/1407م[3].

تكوينه العلمي والديني كان على يد أبوه وجده حيث أن الوسط الأسري أتاح له تكوينا روحيا وأدبيا، ضف إلى هذا رحلته في طلب العلم قد نمته وأكسبته العديد من العلوم والمعارف، فرحلته إلى فاس مكنته من الاستزادة من باقي الفنون فصح فيها علومه وأكد توثيقها، كما وجد في رحلته هذه ما كان يرجوه في بلوغ هدفه ونهل العلوم وتثبيت قواعدها وأحوالها[4].

كان لابن القنفذ القسنطيني كم هائل من المؤلفات في كل فروع العلم سواء كانت نقلية أو عقلية نذكر منها:

- تقريب الدلالة في شرح الرسالة.

- إيضاح المعاني في بيان المباني.

- معاونة الرائض في مبادئ الفرائض.

---

[1]- بلفرح عبد الرحمن، ابن قنفذ القسنطيني حياته وآثاره، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، وهران، الجزائر، 2006-2007، ص15-17.

[2]- نويهض عادل، المرجع السابق، ص268.

[3]- لزغم فوزية، المرجع السابق، ص199.

[4]- بلفرح عبد الرحمن، المرجع السابق، ص15-17.

- أنوار السعادة في أصول العبادة.

- تيسير المطالب في تعديل الكواكب.

- القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية.

- بغية الفارض من الحساب و الفرائض.

- أنس الفقير وعز الحقير.

- الوفيات[1].

ج. التصوف والحياة الثقافية

تأثير التصوف في قسنطينة خلال العهد العثماني لم يقتصر فقط على الجوانب السياسية والاجتماعية، بل امتد أيضًا إلى الجوانب الثقافية والدينية. الهدف الرئيسي للزوايا والطرق الصوفية كان نشر تعاليم الدين الإسلامي[2]، خاصة مع تراجع النشاط الثقافي والفكري في ذلك العصر بسبب التركيز العثماني على الجوانب العسكرية وبناء القوات العسكرية والأساطيل البحرية، وقد شهد هذا العصر ازدهارًا للتصوف بفضل دعم السلطة العثمانية، مما ساهم في انتشاره وتأصيله في المجتمع، بالإضافة إلى ذلك، أسهمت الطرق الصوفية في إنشاء مؤسسات مثل الزوايا والأربطة التي كان لها دور هام في نشر التعليم وتعزيز الحركة العلمية والإشعاعية في الجزائر[3].

---

[1]– نويهض عادل، المرجع السابق، ص269.

[2]– عميراوي حميدة، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص52.

[3]– ربوح عبد القادر، الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ، مجلة البحوث والدراسات، ع1، مج15، 2018، ص306.

الزوايا الصوفية أيضًا حافظت على هوية الأمة الجزائرية ومكافحة الأفكار الخاطئة، باستثناء الزوايا البدعية[1] التي كان لها تأثير سلبي، كما أنها كانت مراكزا لتدريس الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب وتأليف الكتب في مختلف التخصصات، بالإضافة إلى نسخ المخطوطات وتوفير السكن المجاني للطلاب، وقد اشتهرت قسنطينة بالعديد من الزوايا، حيث ذكر الأستاذ سعد الله أنها كانت تضم ستة عشر زاوية، بعضها كانت لها خصوصية خاصة بها، مثل زاوية أولاد الفكون، وزاوية ابن نعمون كذلك زاوية أولاد جلول وزاوية بني مسعود، التي تخرج منها الكثير من العلماء الذين كانت لهم إسهامات علمية كبيرة في شتى المجالات أثرت مكتبات الجزائر وكانت مرجعا للطلبة في التحصيل العلمي داخل الجزائر وخارجها[2].

[1]– العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع15، 2014، ص130.

[2]– أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص37.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا وتحليلنا لموضوع الأوضاع الثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني توصلنا إلى مجموعة من النتائج هي:

- الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة كان سببا من أسباب توافد الحضارات المختلفة إليها.

- الفترة العثمانية من أزهى الفترات في تاريخ المدينة، وذلك للنشاط الكبير الذي شهدته الحياة العلمية والثقافية في تلك الفترة.

- كان للمؤسسات الثقافية دورا كبيرا في الازدهار الفكري والتعليمي للمدينة.

- عرفت المدنية انتشارا واسعا للمساجد، فكان لهذه المؤسسة الدينية دور كبير في حياة المجتمع.

- كانت الكتاتيب القرآنية الركيزة الأساسية لتعليم اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية.

- عرفت المدينة أيضا العديد من الزوايا التابعة للعائلات القسنطينية، فكان لكل عائلة زاوية خاصة بها وتسمى باسمها.

- كانت قسنطينة تحتوي على العديد من المكتبات سواء العامة أو الخاصة والتي احتوت على عدد هائل من المؤلفات في مختلف المواضيع.

- لعبت الأوقاف دوراً هاماً في توفير الدعم للمساجد والمؤسسات الدينية والخدمات الاجتماعية في مدينة قسنطينة.

- عرفت المدينة أيضا عددا كبيرا من المدارس التعليمية والتي كان بها إقبال كبير من مختلف فئات المجتمع، وذلك للمستوى الجيد الذي كانت تتمتع به.

– اشتهرت قسنطينة بمجموعة من العلماء أبدعوا في مختلف المجالات، الذين كان لهم دور كبير وهام سواء في الحياة الثقافية أو العلمية للمدينة.

– أثر التصوف في الحياة الثقافية في قسنطينة والذي عرف انتشارا واسعا في الفترة العثمانية، على الرغم من بعض النتائج السلبية التي تمخضت عن هذه الظاهرة كان أهمها انتشار البدع، والخرافات، ولكن ذلك لم يمنع من نشر العلم والمعرفة خاصة في المناطق النائية.

– إن قسنطينة بتاريخها ستبقى حاضرة من الحواضر الثقافية التي شهدتها الجزائر في الفترة العثمانية وستبقى كذلك.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1- باللغة العربية

- القرآن الكريم.

- ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق، تح، محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

- أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982.

- أحمد بن مبارك ابن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011.

- بن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائها على أوطانها، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980.

- الراشدي عبد القادر، تحفة الإخوان في تحريم الدخان، تح عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.

- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح أبو القاسم سعد الله، ط5 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

- فايسات أوجان، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية، تر أحمد السيساوي، ط1، دار كنوز بوغر للنشر والتوزيع، د.ت.ن، قسنطينة، الجزائر.

- لمبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

- محمد المهدي علي بن شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر أو تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

- محمد بن أحمد أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح محمد غانم، ج1، د.ط، د.د.ن، د.ب.ن، د.ت.ن.

- المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر-جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن 10-13هـ، جم وإع عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

2- باللغة الأجنبية

- Ernest Mercier, Histoire de Constantine.

- Eugène Vayssettes, Histoire de Constantine sous la domination turque.

المراجع:

1-الكتب

- أبو القاسم سعد الله، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

- أحمد الأزرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، د.ط، دار الغرب، د.م.ن، د.ت.ن.

- بسكر محمد، الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين معالمه وأعلامه، مج5 ، د.ط، دار كردادة للنشر والتوزيع، د.ب.ن، 2018.

- بوروينة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر إبراهيم شيوح، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979.

- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار المغرب الإسلامي، ج1، 1995.

- بوعزيز يحيى، رحلة في فضاء العمر أو مذكرات القرن، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- الحفناوي محمد أبي القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ج2.

- سالم عبد العزيز، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.ن.

- سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- الشيخ أبو عمران وسعيدوني ناصر الدين، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.

- عبدلي لخضر، تاريخ مملكة تلمسان في عهد زيان 1554م، ط1، دار الأوطان، تلمسان، 2011.

- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ونشاطها، د.ط، دار البرق، بيروت، 2002.

- عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002.

- عميراوي حميدة، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

- غربي كمال، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2013.

- غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، وزارة المجاهدين، 2007.

- لعروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافيا العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984.

- محمد الحاج عيسى أبو عبد الله، عقيدة العلامة عبد الحميد بن باديس ويليه أضواء على ترجمة عبد القادر الراشدي القسنطيني، تق محمد علي فركوس، دار الإمام مالك، الجزائر، 2003.

- مريوش أحمد وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، د. ط، دار القصبة، الجزائر، 2007.

- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1980.

2- المذكرات

- سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، قسم اللغة العربية، جامعة قسنطينة، 2005.

- بلفرح عبد الرحمن، ابن قنفذ القسنطيني حياته وآثاره، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، وهران، الجزائر، 2006-2007.

- بن بلة خيرة، المنئآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007.

- بوخلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2008-2009.

- طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

- دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني-دراسة عمرانية أثرية-، أطروحة دكتوراه، في الآثار الإسلامية، ج1، جامعة بوزريعة، معهد الآثار، الجزائر، 2009-2010.

- حروش مفيدة، أطلس المعالم الإسلامية بمدينة قسنطينة، دراسة تاريخية أثرية، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010-2011.

- بوسعيد عبد الرحمان، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012.

- درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين 10-13هـ، بين التأثير والتأثر، مذكرة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2014-2015.

- لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014.

- بونقاب مختار، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18-19، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي الياس، بلعباس، الجزائر، 2015-2016.

3. المجلات

- أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان، أواخر العهد العثماني، مجلة أماراباك، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا، الجزائر، ع7، مج4، 2013.

- بردي صليحة، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، الصادرة عن مختبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع11.

- تيراري مختارية، التعليم بالكتاتيب في الجزائر في منظور الدراسات النفسية المعاصرة، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع56-57، 2001.

- ربوح عبد القادر، الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ، مجلة البحوث والدراسات، ع1، مج15، 2018.

- العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع15، 2014.

– غانم محمد الصغير، قسنطينة عبر تاريخها القديم، مجلة العلوم الإنسانية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ع12، 1999.

– فريد محمود محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني1518–1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، 2013.

– قاصري محمد السعيد، المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، ع18، 2015.

– قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، الجزائر.

– قشي فاطمة الزهراء، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع9، 2013.

– قشي فاطمة الزهراء، ممارسات قسنطينة في القرن الثامن عشر، مجلة سيرتا، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ع.خ، 2000.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

تمهيد

قائمة المختصرات

مقدمة: .....أ

الفصل التمهيدي:

المدخل الجغرافي والتاريخي لمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني

أ. المدخل الجغرافي 6

1. الموقع والتضاريس 6

2. جغرافيا الأودية والأنهار 6

ب. المدخل التاريخي 8

1. قسنطينة قبل الوجود العثماني 8

2. قسنطينة خلال الفترة العثمانية 10

الفصل الأول:

المؤسسات الثقافية في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني

أ. المساجد والكتاتيب..... 14

1. المساجد 14

2. الكتاتيب 17

ب. الزوايا والمكتبات..... 19

1. الزوايا 19

2. المكتبات..... 22

ج. الوقف ودوره في الحياة الثقافية 26

1. تعريف الوقف..... 26

2. دور الوقف في الحياة الثقافية 30

الفصل الثاني:

النشاط التعليمي في مدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني

أ. المدارس التعليمية 33
1. العلوم الدينية 34
2. علوم اللغة والأدب 36
3. العلوم الطبيعية والتجريبية 36
ب. العلماء وإنتاجهم الثقافي 42
ج. التصوف والحياة الثقافية 51
خاتمة: 54
قائمة المصادر والمراجع 56
فهرس الموضوعات 64

ملخص:

كانت المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب والأوقاف تلعب دوراً بارزاً في مدينة قسنطينة كمراكز تعليمية مهمة خلال الفترة العثمانية، وقد ساهمت بشكل فعّال في تعزيز الحركة التعليمية ونشر العلم، وإزالة الجهل عن الناس، فأصبحت هذه المراكز مقصداً لطلاب العلم من مختلف مناطق الجزائر، مما يدل على رقي المدينة وتطورها، كما قامت العائلات العلمية في قسنطينة بدور كبير في تعزيز الحركة التعليمية في المدينة.

الكلمات المفتاحية:

قسنطينة، الحياة الثقافية، المساجد، الزوايا، الأوقاف، المدارس التعليمية، العلماء.

Abstract :

During the Ottoman period, mosques, schools, Sufi lodges, Quranic schools, and endowments played a prominent role in Constantine as important educational centers. They effectively contributed to enhancing the educational movement, spreading knowledge, and dispelling ignorance among people. These centers became destinations for students from various regions of Algeria, indicating the city's advancement and development. Additionally, scholarly families in Constantine played a significant role in promoting the educational movement in the city.

Keywords : Constantine, mosques, Quranic schools, cultural life.